دور العامل البشري في التصدي للسرطان

بقلم: أنجيلا لوكر

تتصدى الوكالة للنقص الحاد في الموارد البشرية في القارة الأفريقية عبر إقامة جامعة افتراضية لمكافحة السرطان وشبكة تدريب إقليمية.

مع تزايد انتشار السرطان في البلدان النامية، تزداد الحاجة إلى أشخاص مؤهلين ومختصين برعاية مرضى السرطان للمساعدة على التصدي لهذا الوباء المتنامي. ولما كانت الخدمات الصحية المثقلة الكاهل تعاني من نقص حاد في الموظفين، فإن من الصعب جداً استقطاب الأطباء والممرضات للعمل في هذا الميدان التخصصي. وتعكف الوكالة على إقامة جامعة افتراضية لمكافحة السرطان وشبكة تدريب إقليمية بهدف الإسهام في سد النقص في الموارد البشرية في هذا المجال في أفريقيا.

ووفقاً لمنظمة الصحة العالمية، شهدت أفريقيا في عام ٢٠٠٨ فحسب ٦٦٧ ألف حالة إصابة جديدة بالسرطان وما يربو على نصف مليون وفاة من جراء هذا المرض، ومن المتوقع أن ترتفع هذه الأرقام ارتفاعاً صاروخياً خلال العقد القادم. وتشير التقديرات إلى أن أفريقيا تفتقر حالياً إلى ما يربو على ٨١٨ ألف أخصائي صحي في هذا الميدان. ويعتبر حقل رعاية مرضى السرطان ومكافحة هذا المرض أحد أشد الحقول تضرراً على هذا الصعيد نظراً لتوجيه الموارد البشرية في المقام الأول للتصدي للأمراض المعدية التي تثقل كاهل القارة

الأفريقية. فضلاً عما تقدم، فإن عدداً من العقبات المحددة تعيق عمليات التوظيف في هذا القطاع.

العقبات التي تعيق التوظيف

عندما كانت مريم أووسو سيكيير ابنة الخمسة والعشرين ربيعاً تفكر قبل ثلاث سنوات بدراسة تمريض مرضى السرطان، حاول العديد من الأشخاص في مسقط رأسها غانا ثنيها عن هذا القرار.

وتقول مريم إن «العديد من الأفكار الخاطئة تسود بشأن العمل في وحدة علاج الأورام السرطانية، فبعض الأشخاص يعتقدون أن الاقتراب من أجهزة العلاج بالأشعة قد يؤدي إلى الإصابة بالسرطان أو قد يتسبب بالعقم لدى النساء الشابات. لقد أحبطت عزيمتي وشعرت بالخوف».

بيد أن أسرة مريم وزملاءها قدموا لها الدعم وواصلت دراستها بنجاح حتى أنهت التدريب في مجال تمريض مرضى السرطان في جنوب أفريقيا بتمويل من حكومة غانا. وتعمل مريم حالياً في وحدة علاج السرطان في مستشفى كومفو أنوكييه الجامعي في كوماسي، وهي ثاني أكبر مدينة في غانا، وهي متفانية في عملها وتقول إنها لم تندم أبداً على قرارها. (أنظر الإطار المعنون «مسيرة شخصية» الوارد في هذا المقال).

وكما يتبين من قصة مريم، فإن الخوف وسوء الفهم المحيطان بطبيعة هذا العمل يعيقان جهود الكثير من البلدان في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى لتوظيف وتدريب المختصين برعاية مرضى السرطان. وفي الوقت نفسه، فإن ظروف العمل السيئة وقلة آفاق التطور الوظيفي لا يساعدان على تشجيع أذكى الطلاب وأفضلهم في أفريقيا على التخصص في علم الأورام، إذ سيتمثل الواقع بالنسبة لهم على الأرجح في فترة طويلة وصعبة من العمل المتدني الأجر في مراكز لعلاج السرطان تفتقر إلى التجهيزات وترتادها أعداد هائلة من المرضى. لذا، تسعى الوكالة عبر برنامج عملها من أجل علاج السرطان وبالتعاون مع منظمة الصحة العالمية وغيرها من الشركاء الدوليين إلى سد النقص في الموارد البشرية حيثما يكون لذلك الوقع الأكبر – أي في الميدان في القارة الأفريقية.

مراكز لعلاج السرطان تجمع بين التعلم والتوجيه

ستشكل أربعة مراكز مرموقة لعلاج السرطان في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى محور المرحلة التجريبية للجامعة الافتراضية لمكافحة السرطان وشبكة التدريب الإقليمية التي تم تطويرها للنهوض بنقل المعرفة والتوجيه المهني والتعلم المستمر في المنطقة برمتها. وسيتم توفير برامج تدريب رفيعة المستوى من خلال شبكة تشكلها المراكز الطليعية الأربعة ومراكز للتوجيه في مجال علاج السرطان في بلدان كمصر وجنوب أفريقيا. وستوفر الجامعة الافتراضية لمكافحة السرطان المعلومات والوحدات التدريبية للطلاب عبر الإنترنت، كما ستطور مضامين المناهج على نحو يتماشى مع أنماط أمراض السرطان المنتشرة في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، ولا سيما سرطان عنق الرحم والثدي والرأس والرقبة والبروستاتا، وكذلك سرطان الغدد اللمفاوية وسرطان «كابوزي ساركوما» المتصل بمرض الإيدز.

ويشير الدكتور كينيدي ليشيمبي، القائم بأعمال المدير التنفيذي لمستشفى الأمراض السرطانية في لوساكا، زامبيا، إلى أن السرطان يمثل مشكلة صحة عامة رئيسية في المنطقة ككل. وتشهد زامبيا حالياً مثلاً أحد أعلى معدلات الإصابة بسرطان عنق الرحم في العالم، إذ تصل هذه النسبة إلى ٥٣,٧ إصابة لكل مائة ألف امرأة. وقد تلقى العلاج في مستشفى الأمراض السرطانية منذ افتتاحه في عام ٢٠٠٦ ما يربو على ٣٥٠٠ مريض رغم أن عدد موظفيه الإجمالي لا يتجاوز ٣٢ موظفاً.

وأردف ليشيمبي قائلاً إن «هؤلاء الموظفين هم حالياً الوحيدون في زامبيا الذين تلقوا التدريب في مجال الأورام السرطانية، لذا فمن الواضح أننا بحاجة إلى إعداد المزيد من الأشخاص. إن إقامة مراكز امتياز في أفريقيا تدعمها جامعة افتراضية هي فكرة رائعة لأنها ستوفر موارد جيدة للأخصائيين العاملين في مجال الأورام السرطانية ولجميع المختصين برعاية مرضى السرطان كما أنها ستساعد في تدريب الموظفين الأساسيين الذين تحتاجهم على نحو عاجل وحدات علاج الأورام السرطانية في أفريقيا».

إيقاف هجرة الأدمغة

إن الأمل معقود على المدى البعيد في أن تسهم الجامعة الافتراضية لمكافحة السرطان وشبكة التدريب الإقليمية في نشر الرعاية المستدامة والشاملة لمرضى السرطان وفي مكافحة هذا المرض على نحو مستدام وشامل في المنطقة ككل. وترمي الجامعة كذلك إلى وضع حد لتدفق المختصين بالرعاية الصحية المؤهلين من القارة الأفريقية إلى بلدان العالم الأكثر ثراءً سعياً وراء وظائف وفرص أفضل. وتشير التقديرات إلى أن آلاف الأطباء والممرضين المدربين والمؤهلين حديثاً يهاجرون سنوياً سعياً وراء أجور وشروط عمل أفضل، بينما لا يعود غيرهم إلى بلادهم بعد انتهاء فترة تدريبهم في الخارج. إن هجرة الأدمغة هذه التي تطول الأخصائيين في ميدان الطب لا تؤثر سلباً على نوعية الرعاية الصحية في البلدان الأفريقية وعلى توافرها فحسب، وإنما تمثل أيضاً خسارة هائلة على صعيد الاستثمارات المالية الحكومية في مجالي التعليم والتدريب.

ورغم صعوبة ضمان عودة العاملين المؤهلين في القطاع الطبي إلى بلادهم، ثمة أمل بأن يتسنى تشجيعهم على البقاء في القارة الأفريقية من خلال توسيع نطاق مرافق العلاج بالأشعة، وتحسين ظروف العمل والرواتب، وتوفير فرص أفضل في مجال التطور المهني والتدريب للمختصين برعاية مرضى السرطان. وهنا يكمن لب مبادرة الجامعة الافتراضية لمكافحة السرطان وشبكة التدريب الإقليمية.

سد احتياجات رئيسية في مجال الصحة في العالم

أقر غلين ت. ديفيس، الممثل الدائم للولايات المتحدة لدى الوكالة، برسالة برنامج العمل من أجل علاج السرطان الذي تطبقه الوكالة وبالرؤيا التي يتوخاها على صعيد مكافحة السرطان

في العالم، وأعرب عن فخر بلاده بمواصلة دعم هذه «الجهود النبيلة» من خلال التبرع بمبلغ ٧٥٠ ألف دولار لصالح مشروع الجامعة الافتراضية لمكافحة السرطان وشبكة التدريب الإقليمية. وصرح ديفيس في خطاب ألقاه بمناسبة اليوم العالمي للسرطان في عام ٢٠٠٩ بأن «برنامج العمل من أجل علاج السرطان هو أكثر من مجرد برنامج يلبي احتياجات أساسية وضرورية وعالمية في مجال الصحة، إنه أيضاً نموذج لكيفية نهوض الوكالة بالاستخدام السلمي للتكنولوجيا النووية بأسلوب يستند إلى النتائج، مع التركيز على تحقيق الفعالية من حيث التكاليف وعلى إقامة شراكات مستدامة بين البلدان المتلقية للمساعدة والبلدان المانحة».

وتمثل الجامعة الافتراضية وشبكة التدريب الإقليمية مبادرة جديدة تأتي في الوقت المناسب وتستفيد من الجهود الموازية التي تبذلها الوكالة للتثقيف والتدريب في مجال السرطان. وبدأت الوكالة فعلاً، عبر برنامج التعاون التقني لصالح أفريقيا الذي تطبقه، بدعم برامج المنح الفردية والتبادل العلمي في مجال إدارة مرض السرطان كما ستعتمد الجامعة والشبكة في الوقت نفسه على الخبرات والكفاءات التقنية التي يتمتع بها قسم الصحة البشرية من أجل إعداد المضامين والمناهج التدريبية. وستكون لخبرة الوكالة في مجال «التدريب بمساعدة عن بعد»، وهو برنامج منح يوفر الدعم للأطباء من البلدان التي تفتقر إلى برامج للتعليم الجامعي النظامي في مجال الطب النووي، قيمة لا مثيل لها. وستستفيد الجامعة الافتراضية وشبكة التدريب الإقليمية كذلك من سائر خبرات الوكالة في هذا المجال على غرار مساق التعلم عن بعد المعني بالعلوم التطبيقية المتصلة بالأورام السرطانية.

تعمل أنجيلا لوكر كمستشارة لدى برنامج العمل من أجل علاج السرطان الذي تطبقه الوكالة.
البريد الإلكتروني: ALeuker@yahoo.co.uk

مسيرة شخصية

بقلم : أنجيلا لوكر

تظهر قصة المرضة مريم أووسو سيكيير التي تقيم في غانا كيفية التغلب على العقبات التي تعيق توظيف وتدريب المختصين بمرض السرطان في أفريقيا.

تعمل المرضة مريم أووسو سيكيير المتخصصة في تمريض مرضى السرطان في وحدة علاج السرطان في مستشفى كومفو أنوكييه الجامعي في مدينة كوماسي في غانا. (الصورة: م. سيكيير).

كانت المرضة مريم أووسو سيكيير في الخامسة والعشرين من العمر عندما اقترح عليها المستشفى الذي كانت تعمل فيه إرسالها إلى جنوب أفريقيا لتلقي التدريب المتخصص في مجال الأورام السرطانية. بيد أن الكثير من الأشخاص حاولوا ثنيها عن الاستفادة من هذه الفرصة نظراً إلى الأفكار الخاطئة السائدة لدى البعض بأن مجرد الاقتراب من أجهزة العلاج بالأشعة قد يضر بالصحة. وتقول مريم إن عزيمتها قد خارت وإنها شعرت بالخوف، إلا أنها واصلت دراستها بنجاح بدعم من أسرتها ومن زملائها حتى أنهت التدريب في مجال تمريض مرضى السرطان.

وبعد ثلاث سنوات على ذلك، باتت مريم تعمل في وحدة علاج السرطان في مستشفى كومفو أنوكييه الجامعي في كوماسي، وهي ثاني أكبر مدينة في غانا، وتقول إنها لم تندم أبداً على قرارها، رغم أن حجم العمل هائل. إذ لا يوجد في غانا سوى وحدتين لعلاج الأورام السرطانية تخدمان البلد بأسره، وهما مستشفى كورل بو الجامعي الذي يخدم الجزء الجنوبي من غانا، ومستشفى كومفو أنوكييه الذي يخدم شمال البلاد. كما يستقبل هذان المركزان المرضى من البلدان المجاورة كبوركينا فاسو وكوت ديفوار اللتين تفتقران إلى مرافق لعلاج السرطان.

ووفرت وحدة علاج الأورام السرطانية في مستشفى كومفو أنوكييه منذ افتتاحها عام ٢٠٠٤ العلاج لما يربو على ٤٣٠٠ مريض رغم أن عدد موظفيها لم يتجاوز عشر موظفين. ويعمل في الدائرة حالياً أخصائيان مؤهلان في مجال علاج الأورام السرطانية بالأشعة، وصيدلاني متخصص في الأشعة، وأخصائي في الفيزياء الطبية، وأخصائي علاج بالأشعة، وثلاثة أخصائيين في تمريض مرضى السرطان، بمن فيهم مريم. ويشهد مستشفى كورل بو وضعاً مماثلاً. وتفتقر وحدتا علاج السرطان في غانا إلى غرف للمرضى ولا تعملان إلا على أساس علاج المرضى غير المقيمين، مما يعني أن على موظفي المستشفى العمل لساعات طويلة لمعالجة الارتفاع الهائل في نسبة المرضى إلى الأخصائيين.

ويوفر النقص الحاد في الموظفين في غانا مثالاً على النقص الشديد الذي تشهده شتى مناطق أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى. وتؤمن مريم بأن الكثير من الأخصائيين الطبيين يعزفون عن العمل في أقسام الأورام السرطانية بسبب ما يشاع عنها من مخاطر مرتفعة وخوفاً من عدم تمتعهم بالحماية الكافية. وتشير مريم إلى عنصر آخر رئيسي يتمثل في قلة فرص التدريب قائلة «إن كلفة إرسال المختصين برعاية مرضى السرطان إلى الخارج لتلقي التدريب مرتفعة جداً، وغانا بلد متدني الدخل لا يمكنه بكل بساطة تحمل كلفة تدريب ما يكفي من أخصائيي الرعاية الصحية لسد النقص في الموارد البشرية في هذا المضمار».

وتقول مريم إن نقص الحوافز وتدني الرواتب هما عاملان إضافيان ينبغي مراعاتهما، مشيرة إلى أنه «ثمة نقص في الحوافز التي تشجع على التخصص في مجال الأورام السرطانية، وحدود لما يمكن القيام به للحيلولة دون مغادرة القلة من الأخصائيين المتدربين للبلاد سعياً وراء ظروف عمل أفضل خارجها. ومن هنا ينجم النقص في الموارد البشرية».

وتؤمن مريم بأن بمقدور شبكة تدريب إقليمية على غرار الجامعة الافتراضية وشبكة التدريب الإقليمية المزمع إنشاؤهما في إطار خطة عمل مكافحة السرطان، الإسهام في تحقيق تقدم على صعيد مكافحة السرطان عالمياً، ولا سيما في غانا وفي القارة الأفريقية عموماً. وتضيف قائلة «إن من شأنهما استحداث فرص تدريب للأخصائيين الراغبين في التخصص في علاج الأورام السرطانية مما سيشجع الموظفين المؤهلين على البقاء في البلاد وسيعود بالفائدة على مرضى السرطان وعلى المختصين برعايتهم على حد سواء.